

## الفصل الحادى عشر

### عباس الثانى خديو مصر الأخير فى المنفى

١٩١٤ - ١٩٤٤

نتيجة لاصطدام الخديوى عباس الثانى بالانجليز خلال فترة حكمه وعدم وقوفه بجانب سياستهم فى الكثير من الحالات فكر الانجليز أكثر من مرة فى التخلص منه، وقد واتتهم الفرصة أثناء تواجده بالأستانة واطلاق النار عليه هناك، ثم قيام الحرب العالمية الأولى فحاولوا بي - وبين العودة إلى مصر، وقاموا بعزله<sup>(١)</sup>، وفرض الحراسة على أملاكه باعتباره من إعداء بريطانيا وأعلان الحماية على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ونقل السلطة إلى السلطان حسين كامل فى ١٩ ديسمبر من نفس العام ثم إلى الأمير احمد فؤاد فى ١٧ أكتوبر ١٩١٧ والذى أصبح ملكا بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢.

وقد نظر معظم المصريين إلى الخديو المخلوع على أنه صاحب الشرعية الحقيقية، وأنه كان ضحية لتعسف الانجليز وغضبهم عليه مما وفر له قدرا من الشعبية، وجعل البعض يعتقد أن عباس الثانى سيعود إلى حكم البلاد ان عاجلا أو آجلا، وهذا ما رده الناس فى هتافاتهم فى القاهرة والأقاليم وفى أمثالهم وأهازيجهم الشعبية "الله حى عباس حى يضرب اليمبه فى رأس العمدة وهو جاي" والمقصود بالعمدة هنا المعتمد البريطانى اللورد كتنشر الذى كان يحكم مصر.

ولما تزايدت مطالب المصريين بعودة عباس الثانى إلى الحكم واستمرت المظاهرات فى أوائل الحرب تأييدا له ، وسرت بين الشعب موجة من الحنق والحقد على السلطان "حسين كامل" الذى قبل العرش منحة من الانجليز، واعتبرته الأمة خائنا لبلاده، وخارجا على الاجماع الوطنى لاستسلامه للمحتلين استسلاما معيبا، كما ظل المصريون يعاملون الخديوى المخلوع على أنه صاحب الشرعية مما جعل سلطات الاحتلال تسارع بتحريم ذكر اسمه.

ومع ذلك لم يهدأ المصريون الذين أحبوا هذا الخديو واتجهوا إلى ذكر اسم "عباس" دون الوقوع تحت طائلة القانون فقام الموسيقار "سيد درويش" بتأليف وتلحين أغنية تبدأ أبياتها من حروف تكوّن اسم عباس حلمى إذ يقول فيها:

عواطفك دى أشهر من نار

بس اشمعنى جافيتتى يا قلبك

انت اللطف وليه احتسار

(١) تردد فى تلك الأونة ان الانجليز عرضوا على عباس ان يتنازل عن العرش لولى عهده الأمير محمد عبد المنعم ولكنه رفض.

سيد الكل أنا طوع أمـرك  
 حالى صبح لم يررض حبيب  
 لوم الناس زودنى لهيب  
 ما قلت أن الوصول قريب  
 يا مليكى والأمر لربك

كما ردد الأهالى الأغاني للمطالبة بعودة عباس إلى حكم مصر ولم يأبهوا بعقاب

السلطة الانجليزية ومنها :

يا أمة الاسلام ليث حزينه

إن كان على عباس بكره يجينا

ويدق طبل الفرخ فى اراضينا

وإلى جانب ذلك فقد عبر الأديب العالمى "نجيب محفوظ" فى روايته "بين القصرين" عن رغبة المصريين فى عودة عباس عندما قالت أمينة لزوجها "ربنا يعيد لنا أفندينا عباس" وفى قول الشيخ "متولى عبد الصمد" أسأل الله المنان أن يعيد إلينا أفندينا عباس مؤيدا بجيش من جيوش الخليفة لا يعرف له أول من آخر بقيادة محمد فريد.

وكانت الأنباء قد ترددت وقتها حول اقتراب الجيش العثمانى بقيادة محمد فريد لاجراج الانجليز وطردهم من مصر بواسطة عساكر السلطان وعودة الخديوى المخلوع إلى عرشه كما تكونت لجنة سرية خاصة برئاسة "عبد اللطيف الصوفانى" أحد أعضاء الحزب الوطنى لرفع نداء "الله حى عباس حى" الذى يردده الصغار والكبار معا. وتمنى المصريون انتصار تركيا على الانجليز، وتمسك معظمهم بالولاء للخلافة.

ومنذ ذلك الوقت أخذ عباس الثانى يخطط للعودة إلى العرش استنادا إلى الشعبية التى كان يتمتع بها داخل البلاد، وإلى علاقاته الطيبة مع بعض رجالات الحزب الوطنى وبعض الجهات والأفراد الذى كان يمدهم بالمال لإحداث هزات فى مصر تجبر بريطانيا على إعادته إلى الحكم وإلى جانب ذلك فقد اعتمد على بعض رجالات الحكم فى تركيا وألمانيا فى عونه إلى عرشه كل ذلك جعل كل من جلس على عرش مصر بعده يرتاب فى الأمر، وجعل للصراعات الخفية بين أنصار الخديو المعزول وبينه تبرز إلى الوجود، فبذل الملك فولاد كافة الجهود لتثبيت أركان حكمه وحكم أسرته وإقامة ملكية مطلقة وكان ساعده الأيمن فى ذلك "حسن نشأت" رجل القصر الأول، أما عباس فقد تمنى نجاح الحملة للتركية الألمانية فى طرد الانجليز من مصر وإعادته إلى عرشه، لذلك بدأ حملة سيلمية واسعة للنطاق فى أوروبا

خاصة المانيا ضد فؤاد ومدى لحيقة ذلك الفرع من أبناء إسماعيل في الحكم<sup>(١)</sup> وإلى جانب ذلك فقد عمل على استقصاء لخبار مصر وما يجرى فيها، كما كان حريصا على مقابلة كبار المصريين الذين يزورون أوروبا لكي يعرف منهم حقيقة الحال وكان يدفع لبعضهم مرتبات شخصية لكي يوافوه بالأخبار.<sup>(٢)</sup>

وظل عباس يسعى للعودة إلى العرش بأى ثمن مما أفرغ الملك فؤاد خاصة بعد أن عرف أن حجم اتصالات الخديو السابق تدل على خطورته التي يجب أن يحسب لها كل حساب وإن عباس لم يجد طريقا يقربه من العودة إلى عرشه إلا وسلكه واستمرت الأمور على ذلك حتى تم عقد معاهدة لوزان التي تنازلت تركيا بمقتضاها عن حقوقها التاريخية في مصر مما دعاوى عباس من شرعية العودة إليها خاصة وأن تركيا لم تعد السند الذي يكفل له العودة إلى عرشه.

ولمساعدة السلطان فؤاد في موقفه ضد الخديو المخلوع انتحلت الحكومة البريطانية لنفسها حق التدخل في نظام وريثة العرش لتثبيت سلطته فأبلغته قرارها بالاعتراف بالأمير فاروق ونسبه من الذكور كأولياء عهد للسلطة المصرية<sup>(٣)</sup>، وإلى جانب ذلك فقد صدر في ١٧ يوليو ١٩٢٢ القانون رقم ٢٨ للخاص بإقرار تصفية أملاك الخديو عباس الثاني وتضييق ماله من حقوق محافظة على النظام للموضوع لتوارث العرش وحرمانه من دخول الأراضي المصرية أو أن يباشر فيها بنفسه أو بواسطة غيره أى حق من الحقوق السياسية وإن تصدر أمواله وتؤول إلى خزائن الحكومة.<sup>(٤)</sup> وأن يمنع من السكن أو الإقامة في الأراضي المصرية.<sup>(٥)</sup>

ونتيجة لذلك انتهز الملك فؤاد فرصة وجود قضايا مرفوعة من الأميرة "اقبال هانم" ضد الخديو عباس الثاني والحكم لها ومعارضة الخديو للحكم وقبول محكمة الاستئناف لهذه المعارضة فاصدر مرسوما بأنه لا يجوز للخديو السابق ان يتقاضى باسمه امام المحاكم بأى صورة من الصور.<sup>(٦)</sup>

ونظرا لتضييق الأمور على الخديو المخلوع فقد سعى لاسترضاء الانجليز لمساعدته في العودة إلى عرشه في نظير ان يقوم بتنفيذ كل ما يريده الانجليز، ويعمل في السير على سياساتهم ولما لم تستجب حكومة لندن لمحاولاته ونتيجة لاصدار "الليورد اللنبى" المنسوب للسامى ١٦ جئاني في القاهرة بلاغا أعلن فيه أن عباس الثاني مبعد عن القطر المصري، وأنه

(١) للتفاصيل انظر محمد نعيم صفحات مجهولة من التاريخ المصري والجدير بالذكر ان المصريين نزعوا لشد الاتز عاج من وجود حاكم على عرش مصر تعينه سلطات الحماية البريطانية نظرا لأن شرعية حكم البلاد كانت تستمد من التفويضات السلطانية.

(٢) آخر ساعة المصورة في ٢٨ أكتوبر ١٩٤٥.

(٣) الرافعي: في اعقاب الثورة، ج١، ص ٦٢.

(٤) المجموعة الدائمة للقوانين: لقرارات المصرية، قانون رقم ٢٨ بتاريخ ١٧ يوليو ١٩٢٢ بإقرار تصفية أملاك الخديو السابق عباس حلمي، وتضييق ماله من الـ

(٥) مذكورة تفسيرية عن القانون رقم ٢٨ الخاص بإقرار تصفية أملاك الخديو السابق عباس حلمي باشا وتضييق ماله من الحقوق (٦) مضابط مجلس النواب. مضبطة الجلسة التاسعة والعشرين في ١٤ فبراير ١٩٢٧.

وذريته قد حرموا نهائيا من كل حقوق الوراثة ولن أملاكه تم للحفاظ عليها باعتبارها من أملاك الأعداء انقلب عباس على الانجليز وشرع مع حاشيته فى تكوين جمعية للتحريض على الثورة ضدهم مما على السلطات البريطانية تضعه تحت الرقابة المستمرة فى قصره باستئبول وتصييق الخناق عليه وهذا ما جعله يترك قصره ويخرج إلى أوروبا بجواز سفر الباتى ومع ذلك ظنت المخابرات البريطانية تراقبه وتتبعه وقد استقر الأمر بعباس الثانى فى إيطاليا وأخذ فى الاتصال برجالوات الحرب الوطنى من هناك مما جعل السلطات البريطانية توجه إليه صربة قاصمة حيث أصدرت الحكومة المصرية فى ١٩ يوليو ١٩٢٢ قانونا يقضى بإقرار ما قامت به السلطة العسكرية البريطانية أثناء الحرب من تصفية أملاك عباس الثانى الخديو المخلوع والذى جاء فى مادته الأولى بأنه "لا تقبل ولن تقبل أمام أية هيئة قضائية فى السديار المصرية أى دعوى رفعت ولم يحكم فيها أو ترفع فيما بعد من عباس حلمى باشما أو أى شخص آخر ويكون الغرض منها بالذات أو بالواسطة إبطال أى تصرف من التصرفات المذكورة أو الرجوع فيه أو تعديله ، ويجب على المحكمة حتماً وبحكم القانون رفض مثل هذه الدعوى أيا كانت الحالة التى هى عليها".

كما حظرت المادة الثانية ان يهبط الخديوى السابق بالاراضى المصرية، وإذا فعل ذلك تعينه السلطة التنفيذية إلى الحدود فوراً ، ولا يجوز له أن يباشر فى مصر بنفسه أو بواسطة غيره أى حق من الحقوق السياسية أو أن تكور له يد على ما ثابت أو منقول أو ان يمتلك مثل ذلك المال بعقد من عقود المفاوضة أو التبرع كما لا يجوز ان يكون له استحقاق فى أى وقف

كل ذلك وضع حدا نهائيا لتطلعات عباس الثانى فى العودة إلى مصر، وجعله يستشيط غضبا من الانجليز فهاجم سياستهم وطالب المصريين بمقاطعة البضائع الانجليزية والاعتراف بحق المصريين فى العيش بحرية دون قيود، وضالب الأحزاب الوطنية ان تنسى خصوماتها وتتمسك بالكفاح وإلى جانب ذلك فقد فكر فى القيام بمغامرة جريئة وهى التناكر باسم شخص آخر والابحار باتجاه المياه المصرية، والوصول إلى الاسكندرية على احدى البواخر، ولكنه تراجع عن موقعه بعد ان كشفت احدى الصحف الأمر، ولما صعب على الخديو امر العودة إلى عرش مصر أخذ فى البحث عن عرش اخر خال ليعين فيه ، فحاول ان يعينه للفرنسيون ملكا على سوريا أو فلسطين وثابر على ذلك المجهود واستمر يسعى إلى دور سياسى يمكنه من الوصول للعرش حتى عام ١٩٤١ خاصة وأن هناك أشخاصا حصلوا منه على اموال عديدة مثل شكيب ارسلان" لمساعدته فى هذا الغرض مستغلين فى ذلك حبه للسلطة قملأوا خياله بتقارير وهمية.<sup>(١)</sup>

(١) Thomas Mayer: Abbas Hilmi II. As Reflected in some of his papers . P 280- 284.

ونتيجة لما سببه تواجد عباس الثانى فى ايطاليا من مشاكل مع الانجليز، فقد انتهزت الحكومة الايطالية أول فرصة لاجراجه من البلاد، وأخذت تتلمس الذرائع لتنفيذ ذلك، ولما شعر الخديو بالأمر انتقل إلى سويسرا وبدأ يزاول نشاطه من هناك حيث اتصل بأعضاء الحزب الوطنى المشاركين فى مؤتمر الشرق الذى كان منعقدا بلوزان على أمل بحث شؤون الولايات العثمانية القديمة بما فيها مصر والشام ولكن قرارات هذا المؤتمر لم تكن فى صالحه حيث وقفت بجانب المطالب البريطانية مما خيب آماله .

ونتيجة لذلك توارت أخبار الخديو المعزول خاصة بعد أن تخلى رجال الحزب الوطنى عن سياسة الموالاته لتركيا وعن اعتبار الخديو عباس الحاكم الشرعى للبلاد، واعلان معظم هؤلاء الولاء للملك فؤاد، كل ذلك جعل الخديو المعزول يرفع الراية البيضاء فسعى إلى وضع حد لاسترداد حقوقه التى كانت موضع نزاع بينه وبين الملك فؤاد فأوفد إلى مصر فى يناير ١٩٣١ مندوبا عنه لمفاته "صدقى باشا" رئيس مجلس الوزراء وقتذاك معلنا رغبته فى التنازل، والاعتراف بالملك فؤاد ملكا شرعيا فى سينر استرداد أمواله ولما عرض صدقى على الملك الفكرة ابتهج بها وأقرها ثم جرت المفاوضة على شروط التنازل<sup>(١)</sup>، وقد وقعت وثيقة التنازل فى ١٢ مايو ١٩٣١ وفيها تنازل الخديوى السابق عن كل دعوى على عرش مصر وأعلن اتباعه لنسور المملكة المصرية واحترامه لنظام توارث عرش المملكة المصرية ومراعاة لما أبداه الخديوى المخلوع صدر مرسوم بقانون رقم ٨١ بالترخيص للحكومة بمنح سموه مرتبا سنويا يتفق مع ماضيه ومع مكانته من الأسرة المالكة، لذلك تقرر منحه مدى ٦ ياته مرتبا سنويا قدره ثلاثون الف جنيه ابتداء من يناير ١٩٣١ ويكون هذا المرتب شخصا لا يجرى فيه التوارث ولا يجوز التنازل عنه أو الحجز عليه.<sup>(٢)</sup>

وفيما يلى نص وثيقة التنازل التى وقعها الخديو: "أنى موقن بأنى خدمت بلادى بأمانة واخلاص وأنى كرسيت لها مدى ثلاث وعشرين سنة بالرغم من دقة الظروف، كل قواى وخير أيام حياتى وأنى اتمنى من صميم قلبى سعادة مصر ورخاءها وقد تتبعت عن كئيب ما أحرزته للبلاد وما تزال تحزره من أسباب التقدم فى جميع النواحي، وأنى مغتبط بما اراه من خطأها الثانية فى توثيق سبيل استقلالها والتوفيق بين نظامها السياسى وبين حاجاتها وأمانيتها ورغبة منى فى تحديد موقفى حيال نظام مصر السياسى وتأكيد إخلاصى نحو ذات ملكها المعظم فأنى أعلن اتباعى للدستور المقرر بالأمر الملكى رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٠، وأصرح بأنى ساتوخى فى جميع الظروف خطة مطابقة للنظام المقرر لقوانين البلاد، وعلى وجه الخصوص أعلن احترامى للأمر الملكى الصادر فى ١٣ ابريل ١٩٢٢ بوضع نظام لتوارث عرش المملكة

(١) الرافعى: فى أسبوع، ثورة، ٢، ص ١٧٤.

(٢) المجموعة الدائمة ١ - بين والتقراوات المصرية مرسوم بقانون رقم ٨١ فى ٢١ مايو ١٩٣١ بالترخيص للحكومة المصرية بمنح سمو الخديو السابق مرتبا سنويا.

المصرية، والقانون نمره ٢٨ سنة ١٩٢٢ الخاص بإقرار تصفية املاكى وهما جزءان لا يتجزآن من الدستور المصرى ولقانون التضمنيات نمره ٢٥ لسنة ١٩٢٣ وأعلن اتباعى لها جميعا.

ولما كنت أقر لحضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد ابن اسماعيل بأنه ملك مصر الشرعى، فأنى اعلن بهذا تنازلى عن كل دعوى على عرش مصر ، كما أعلن تنازلى عن كل مطالبة ناشئة عن أنى كنت خديويا لمصر أيا كان وجهها سواء عن الماضى أو للمستقبل مع تأكيد ولائى المطلق الدائم لجلالة الملك فؤاد اعرب لجلالته والأمير فاروق ولى عهد المملكة بعين عنايته ، وليزيد فى اسعاد مصر فى حاضرها ومستقبلها.

ومع ذلك فعندما قامت الحرب العالمية الثانية نكث عباس عن اتفاقه وقام بأبراز تأييده للألمان بهدف اعادته إلى عرشه فالكتاب الانجليز يتحدثون عن الخديو عباس الثانى كمؤيد للألمان فيقول "كيرك" أنه كان على فاروق ان يدرك أن دعاوى عباس فى العرش المصرى ربما وجدت تأييدا فى حالة انتصار المحور " كما تحدثوا عن ورود رسالة من "أغا خازن" كان قد طلب إرسالها للفوهرر عثر عليها بين وثائق الخارجية الالمانية وهى تظهر ولاء وولاء الخديو عباس لألمانيا وعطفهما على المحور. (١)

وعلى أى حال فقد توفى عباس فى الحادية والسبعين من عمره، بعد أن مكث احدى وثلاثين سنة فى الخارج (٢) شهد فيها حربين عالميتين وقد كان قبل نشوب الحرب الأخيرة يقيم فى يخته " نعمة الله" تارة فى شواطئ فرنسا، وتارة فى شواطئ ايطاليا وأخرى فى اسبانيا أو تونس ومراكش حاملا معه كفته ، وهذا الكفن عبارة عن "حرام من الكتان وكان يقول أننى انتقل مع الشمس لأنها حياة الوجود فحيثما كانت الشمس أذهب إليها. وقد قضى للخديو سنواته الأخيرة فى كتابة مذكراته عن حياته فى مصر والخارج وعن الحوادث التى شهدتها والرجال الذين عرفهم وقد كتبت هذه المذكرات بالفرنسية، ونشرتها بالعربية جريدة المصرى فى عام ١٩٥١ ثم أصدرتها بعد ذلك دار الشروق.

(١) انظر جورج كيرك: موجز تاريخ الشرق الأوسط ص ٣٤.

(٢) خرج الخديو من مصر سنة ١٩١٤ وهو فى سن الأربعين .